

لين في مهبط القسوة

تأليف: سحر الفرج





الرّواية: لَيْنُ فِي مَهَبِّ الْقِسْوَةِ

تأليف: سَحَرُ الْفَرَجِ

تصميم: فاطمة فتوح

سنة النشر: 2026م

جميع الحقوق محفوظة، ولا يُسمح بأيّ نسخ
أو اقتباس من الكتاب دون إذن مسبق
من المؤلّفة.





إلى كل قلبٍ اضطرَّ أن يقسو،
كي لا ينكسر...

إلى الذين أخفوا وجعهم خلف ابتسامة،
وظنّوا أن النجاة تعني ألا يشعروا بشيء.

إلى من خسروا أشخاصًا، وأيامًا، ونسخًا قديمةً من أنفسهم،
ثم نهضوا رغم كل ما لم يستطيعوا نسيانه.

إلى كل من تعلّم أن الغفران لا يعني أن الوجد لم يكن حقيقيًا،
وأن لين القلب ليس ضعفًا،
بل شجاعة أن تبقى نقيًا، رغم كل ما حاول أن يطفىء النور فيك.

وإلى نفسي...

التي قضت طويلاً وهي تظن أن النجاة تحتاج قلبًا من حجر،
حتى أدركت، متأخرةً،
أن أجمل ما يمكن أن يفعله القلب بعد كل ما مرّ به...
أن يبقى قلبًا.





بعض الحكايات لا تبدأ بلقاء،
بل برسالةٍ تعيد فتح بابٍ ظنناه أُغلق إلى الأبد.

كانت ليان تظن أن أقسى ما يمكن أن يخسره الإنسان هو شخصٌ يحبه،
حتى اكتشفت أن الأقسى أن تفقد ثقتك بمن أحببت،
وأن تنظر إلى ماضيك وتسأل: من أخفى عني الحقيقة؟

كبرت وهي تؤمن أن القسوة نجاة،
فكلما انكسر قلبها، أغلقت بابًا جديدًا،
حتى جاء آسرٍ يحمل معه جزءًا من الحقيقة التي هربت منها طويلاً.

وبين سرٍّ قديم، ورسالةٍ لم تصل، وأشخاصٍ لم يقولوا كل شيء،
بدأت ليان رحلةً لم تكن تبحث فيها عن الحقيقة وحدها...

بل عن نفسها.

لأنها اكتشفت أخيرًا أن بعض القلوب لا تحتاج إلى أن تصبح أقسى كي
تنجو...

بل تحتاج فقط إلى أن تجرؤ على أن تلين.





لم أكن أعرف أن الإنسان قد يقضي سنوات كاملة وهو يظن أنه قوي،
بينما هو في الحقيقة كان يخشى أن يلمس موضع وجعه.

كنت أظن أن القسوة نجاة، وأن الذين لا يكون لا ينكسرون، وأن
إغلاق الأبواب في وجه الآخرين هو الطريقة الوحيدة كي لا يدخل
أحدهم إلى الأماكن التي قضيت عمري أخفيها.

حتى جاء هو.

لم يدخل حياتي كما يدخل الآخرون؛ لم يطرق الباب بعنف، ولم
يطالبني بأن أفتح له. بقي واقفاً خلفه، بصبرٍ غريب، كأنه يعرف أن
بعض الأبواب لا تُفتح بالمحاولة... بل بالأمان.

في البداية، كرهت هدوءه.

ثم كرهت اهتمامه.

ثم كرهت الطريقة التي كان ينظر بها إليّ، كأنه يرى شيئاً في داخلي لم
أجرؤ أنا على رؤيته.





كنت أقول لنفسي كل ليلة:

"لا تتعلقي."

لكن القلب لا يفهم الأوامر حين يجد أخيراً من يشبه الطمانينة.

ولم أعرف أن أصعب معارك الإنسان ليست مع الذين يؤذونه، بل مع ذلك الجزء منه الذي يريد أن يسامح رغم كل شيء.

كان عليّ أن أخسر كثيراً...

كي أفهم أن اللين ليس ضعفاً.

وأن الغفران لا يعني أن ننسى.

وأن بعض الناس لا يعودون إلى حياتنا ليبقوا فيها...

بل ليعلمونا كيف نعود نحن إلى أنفسنا.

وهكذا بدأت حكايتي.



في اليوم الذي ظننت فيه أن قلبي مات...





الفصل الأول

حين بدأ الصمت





كانت ليان تؤمن أن الصمت أحياناً أصدق من الكلام.

ليس لأن الكلمات عاجزة، بل لأن بعض الأشياء حين تُقال تفقد معناها، وبعض الوجع إذا خرج من القلب مرة، لم يعد بالإمكان إعادته إلى مكانه.

جلست قرب نافذة غرفتها في تلك الليلة، تراقب المطر وهو ينساب على الزجاج بخطوط متعرجة، تشبه تماماً الطرق التي سلكتها حياتها دون أن تصل بها إلى المكان الذي أرادته.

وضعت فنجان القهوة إلى جوارها، ولم تشرب منه.

كانت القهوة قد بردت منذ وقت طويل.

مثل أشياء كثيرة في حياتها.

أخرجت هاتفها، فتحت قائمة الرسائل، ثم أغلقتها.

فتحتها ثانية.





كانت هناك رسالة واحدة لم تستطع أن تقرأها منذ الصباح.
من رقم لم يكن مسجلًا باسم.
حدقت في الشاشة طويلاً.
ثم همست:
"بعض الرسائل تأتي متأخرة جدًا."

طرقت سلمى الباب ودخلت دون انتظار الإذن.
قالت وهي تحمل طبقًا صغيرًا:
"أنت هنا منذ ساعتين؟"

لم تجب ليان.

وضعت سلمى الطبق أمامها وجلست على طرف السرير.
"ليان."

"نعم؟"

"هل ستخبريني ماذا حدث؟"



ابتسمت ليان ابتسامة صغيرة لا تشبه الفرج.





ضحكت سلمى بسخرية.

"وأنت منذ متى تصيرين صامته عندما لا يحدث شيء؟"

نظرت ليان إليها.

"أنا بخير."

"هذه الجملة تحديداً تجعلني أعرف أنك لست بخير."

سكتت ليان.

اقتربت سلمى منها وقالت بهدوء:

"هل عاد؟"

تجمدت ملامح ليان.

لم تحتج سلمى إلى اسم.

كانت تعرف.

خفضت ليان عينيها.

"لا."





ترددت ليان قليلاً، ثم مدت الهاتف إليها.

قرأت سلمى الرسالة.

لم تكن طويلة.

مجرد سبع كلمات:

"أحتاج أن أتحدث معك... للمرة الأخيرة."

رفعت سلمى عينيها ببطء.

"منذ متى وصلت؟"

"الصباح."

"ولماذا لم تخبريني؟"

"لأنني لا أريد أن أعود إلى هناك."

"إلى أين؟"

نظرت ليان نحو النافذة.

"إلى ليان القديمة."

ساد الصمت.



ثم قالت سلمى:



"ربما هو الذي يجب أن يعود إلى الماضي، وليس أنتِ."

هزت ليان رأسها.

"لا تفهمين."

"إذن افهميني."

ابتسمت ليان بمرارة.

"هناك أشياء يا سلمى، مهما حاولنا دفنها، تبقى تعرف طريقها إلينا."
وقبل أن تجيب سلمى، رن هاتف ليان.

رقم مجهول.

ترددت.

ثم أجابت.

"ألو؟"





ثم جاء صوت رجل هادئ من الطرف الآخر:

"ليان؟"

تغير وجهها.

نهضت سلمى فوراً.

عرفت من نظرة واحدة أن الأمر أكبر من رسالة.

قالت ليان بصوت مرتجف:

"من أنت؟"

صمت الرجل لحظة.

ثم قال:



"شخص كان يجب أن تلتقي به منذ سنوات."



بقيت ليان ممسكة بالهاتف.

اقتربت سلمى منها.

"من كان؟"

لم تجب.

"ليان، من كان؟"

قالت أخيرًا:

"لا أعرف."

لكنها كانت تكذب.

لأن الصوت، رغم مرور السنوات، كان مألوفًا بطريقة أخافتها.

ليس صوت ياسر.

صوت آخر.

صوت كانت قد سمعته ذات ليلة قبل سبع سنوات، ثم اختفى من حياتها تمامًا.



وفي اللحظة نفسها، وصلتها رسالة جديدة.





فتحتها، كانت صورة قديمة.

صورة لثلاثة أشخاص يقفون أمام منزل لم تعد تعرفه إلا من أحلامها.
والدها.

رجل غريب.

وظفلة صغيرة.

كانت الطفلة هي ليان.

توقفت أنفاسها.

وفي أسفل الصورة كتبت جملة واحدة:
"والدك لم يخبرك الحقيقة كاملة."

رفعت ليان رأسها ببطء.

قالت سلمى:

"ماذا هناك؟"

لم تجب.

كانت عيناها معلقتين بالصورة.

ولأول مرة منذ سنوات، شعرت أن الماضي لم يعد خلفها.

بل كان يقف الآن...





الفصل الثاني

الرجل الذي يعرف أكثر مما ينبغي





لم تنم ليان تلك الليلة.

بقيت الصورة إلى جوارها فوق الطاولة، مقلوبة
تارة، ومكشوفة تارة أخرى، كأنها تخشى أن تنظر
إليها، وفي الوقت نفسه تخشى أن تبعد عينيها
عنها.

كانت صورة قديمة، باهتة الأطراف، لكن وجه
والدها فيها كان واضحًا بما يكفي ليوظ شيئًا
ظنته مات منذ سنوات.

كان يبتسم.

وهذه هي أكثر الأشياء التي أوجعتها.
لم تتذكر آخر مرة رأته فيها يبتسم هكذا.

وضعت أصابعها على وجهه في الصورة، وهمست:

"ماذا أخفيت عني يا أبي؟"





في الخارج كان المطر قد توقف، لكن قطراته بقيت عالقة على
رجاج النافذة، كأن السماء أيضًا لم تستطع أن تنهي حكايتها.

عند السادسة صباحًا، نهضت ليان.
لم ترتب شعرها طويلًا، ولم تهتم بثوبها، فقط ارتدت معطفها
وخرجت.

كانت تعرف إلى أين ستذهب.

إلى المكان الوحيد الذي يمكن أن تجد فيه إجابة.

المقبرة.

وقفت أمام قبر والدها وقتًا طويلًا.

لم تبك.

كانت قد تجاوزت مرحلة البكاء منذ زمن.





قالت بصوت خافت:

"كنت أظن أنني جئت لأشتكي منك."

ابتسمت بحزن.

"لكنني اكتشفت أنني جئت لأطلب منك الحقيقة."

جلست أمام القبر.

"كنت أقول دائماً إنك أفضل رجل عرفته."

سكتت.

ثم أضافت:

"وأنا الآن خائفة من أن أكتشف أنني لم أعرفك





في مكان آخر من المدينة، كان أسريقف أمام نافذة مكتبه.

كان يحمل الصورة نفسها، لكن نسخته لم تكن قديمة، كانت جديدة،
وبجانبها ورقة صغيرة كتب عليها بخط والده:
"إذا وصلت هذه الصورة إليها، فقد حان الوقت."

دخل نديم دون أن يطرق الباب.

نظر إلى أسر.

"هل تحدثت معها؟"

"نعم."

"وماذا قلت؟"

"لم أقل شيئاً."

رفع نديم حاجبه.

"اتصلت بها ولم تقل شيئاً؟"





اقترب نديم من المكتب، فرأى الصورة، تغيرت ملامحه.
"هل أنت متأكد؟"

"من ماذا؟"

"أنت تريد أن تفعل هذا."

صمت أسر.

ثم قال:

"أنا لا أريد."

"إذن لماذا؟"

نظر إلى الصورة طويلاً.

"لأن هناك أشياء لا يحق لنا أن ندفنها فقط لأنها تؤلمنا."

تنهد نديم.

"وماذا ستقول لها؟"

"الحقيقة."

"كلها؟"

رفع أسر عينيه إليه.

"إن كنت أعرفها كلها..."

ساد الصمت.





كانت تلك أول مرة يخاف فيها نديم من إجابة أسر، لأنه يعرف أن أسر لم يكن يخاف من الحقيقة، كان يخاف من الجزء الذي لا يعرفه منها.

في المساء، عادت ليان إلى المنزل.

وجدت أمها في المطبخ.

كانت مريم تقطع الخبز بهدوء، لكنها ما إن رفعت عينيها ورأت وجه ابنتها حتى توقفت يدها.
"أين كنتِ؟"

خلعت ليان معطفها.
"عند أبي."

سقطت السكين من يد أمها، لم تتحرك.

قالت ليان:
"ذهبت إلى قبره."
ثم وضعت الصورة أمامها.

تغير وجه مريم تمامًا.

لم تسأل من أين حصلت عليها.





اقتربت منها.
"أنتِ تعرفين."

قالت مريم:
"ليان..."

"أنتِ تعرفين!"

ارتجف صوتها.
"من هؤلاء؟"

لم تجب أمها.

رفعت ليان الصورة.
"من الرجل الذي يقف بجانب أبي؟ ومن الطفلة؟ ولماذا كنت أنا هناك؟"

أغلقت مريم عينيها.
ثم قالت:
"كان يجب ألا تري هذه الصورة."

ضحكت ليان ضحكة موجوعة.





"كنت أحاول حمايتك."

"من ماذا؟"

رفعت مريم عينيها، وكان فيهما شيء لم تره ليان من قبل.
خوف.

خوف حقيقي.

قالت مريم:

"من الحقيقة."

اقتربت ليان أكثر.

"أي حقيقة؟"

فتحت أمها فمها، لكنها لم تقل شيئاً.





نظرت مريم إلى الباب، ثم إلى ليان، وفجأة شحب وجهها.
قالت:

"لا تفتحي."

تراجعت ليان خطوة.

"من؟"

همست أمها:

"هو."

"من هو؟"

لكن الطرق تكرر، هذه المرة أقوى.

تقدمت ليان نحو الباب.

صرخت أمها:

"ليان، لا!"

لكنها كانت قد وصلت إليه، وضعت يدها على المقبض، ترددت

لشوان، ثم فتحته.





كان أسري قف أمامها.

لم تعرفه، لكنه عرفها.

نظر إليها طويلاً، كأنه يبحث في وجهها عن طفلة يعرفها منذ زمن.

ثم قال:

"أنتِ ليان."

لم يكن سؤالاً.

أجابته:

"نعم."

نظر إلى مريم، تراجعت المرأة إلى الخلف.

قال أسر:

"أنا أسر."

قالت ليان:

"ماذا تريد؟"





"هذا كان عند والدي."
لم تأخذه.

"وما علاقتي بوالدك؟"

قال بهدوء:
"أكثر مما تتخيلين."

نظرت إلى الظرف، ثم إليه.
"أنا لا أعرفك."

أجاب:
"وأنا أعرف عنك أشياء كثيرة."

اشتدت ملامحها.
"مثل ماذا؟"

سكت أسر.
ثم قال:
"أعرف لماذا ترك والدك المدينة."

توقفت أنفاسها.
"والدي لم يترك المدينة."



نظر إليها أسر نظرة طويلة.
"إذن... من الذي أخبرك أنه مات في ذلك الحادث؟"

لم تستطع ليان الكلام.

خلفها، جلست مريم على الكرسي، وكان وجهها يقول شيئًا واحدًا:
أن أسر لم يأت ليكشف سرًا... بل جاء ليهدم الحياة التي بنتها
ليان على كذبة.

قال أسر:

"أنا آسف."

همست ليان:

"على ماذا؟"

قال:

"على أنني جئت متأخرًا."





"لكن أبي تركه لي منذ سبع سنوات."

نظرت إلى الظرف، كان اسمها مكتوبًا عليه،
بنخط والدها، إلى ليان... عندما تكبر بما
يكفي لتسامحني.

ارتجفت أصابعها، وللمرة الأولى منذ وفاة
والدها...

شعرت ليان أن الموت ربما لم يكن نهاية
الحكاية.

بل كان بداية السر.





الفصل الثالث

رسالة لم تصل





لم تفتح ليان الظرف، ظل بين أصابعها كشيء حي، ينبض بالخوف أكثر مما ينبض بالورق، كانت تحدّق في اسمها المكتوب على وجهه، وتحاول أن تتذكر آخر مرة رأت فيها خط والدها، كان الخط نفسه، الميلان نفسه في الحروف، حتى النقطة الصغيرة بعد اسمها كانت كما تتذكرها، لكن عقلها كان يرفض أن يصدق ما تراه عيناها.

رفعت رأسها نحو أسر.

"أنت تكذب."

قالها صوتها، لكن عينيها لم تكونا واثقتين.

لم يدافع عن نفسه.

قال فقط:

"لو كنت أريد الكذب عليك، لما جئت إلى بيتك."

"إذن لماذا جئت؟"

صمت قليلاً.

"لأنك تستحقين أن تعرفي."

ضحكت بمرارة.

"الجميع يقولون ذلك عندما يريدون أن يؤلمونا."





كانت تجلس خلف ليان، ووجهها شاحب كأن سبع سنوات كاملة من الصمت قد سقطت فوق كتفيها دفعة واحدة.

قال أسر:
"اسألي أمك."

التفتت ليان إليها.
"أمي؟"

لم ترفع مريم عينيها.

اقتربت ليان منها.
"هل أبي مات فعلاً؟"

أغمضت مريم عينيها، وكان صمتها أقسى من أي جواب.

"أمي!"

رفعت مريم رأسها أخيراً، كانت الدموع تملأ عينيها.

قالت:

"نعم."

تنفست ليان بارتياح مؤلم، كأنها كانت تتمنى أن تسمع هذه الكلمة، حتى لو جرحتها.





لكن مريم أكملت:

"مات."

توقفت لحظة.

"لكن ليس بالطريقة التي أخبرتك بها."

تراجعت ليان، شعرت أن الأرض ابتعدت عن قدميها.

"ماذا يعني هذا؟"

قالت مريم:

"أبوك لم يمت في الحادث."

ساد الصمت.

حتى أسر خفض عينيه.

همست ليان:

"إذن أين مات؟"

أجابتها أمها:

"بعد سنوات."





تجمدت ليان.

"بعد سنوات؟"

هزت مريم رأسها.

"كان حيًا."

لم تسمع ليان بقية الكلمات، فجأة تداخلت الأشياء في رأسها؛ عيد ميلادها التاسع عشر، يوم أخبرتها أمها أن والدها مات، الصورة التي أحرقتها، الملابس التي تبرعت بها، السنوات التي قضتها وهي تتعلم كيف تعيش من دونه...

كلها كانت مبنية على كذبة.

اقتربت من أمها.

"كنت تعرفين أنه حي؟"

"نعم."

"منذ متى؟"

لم تجب.

صرخت ليان:

"منذ متى؟!"





ابتعدت ليان عنها.

"سبع سنوات..."

قالتها كأنها تحاول عدّ السنوات لا استيعابها.

"سبع سنوات وأنا أبكي رجلاً كان حيّاً؟"

لم تجب مريم.

"سبع سنوات وأنا أضع الزهور على قبره..."

ارتجف صوتها.

"بينما هو لم يكن هناك أصلاً."

قال أسر بهدوء:

"ليان..."

التفتت إليه بعينين ممتلئتين بالغضب.

"لا تنادني بأسّي."

توقف.

"أنت أيضاً كنت تعرف؟"

"عرفت جزءاً من الحقيقة."

"منذ متى؟"

"منذ أشهر."





ضحكت.

"الجميع يعرفون إلا أنا."

قال:

"لم يكن الأمر بهذه البساطة."

اقتربت منه.

"لا تقل لي إنه كان حمايتي."

صمت.

فقلت:

"أكره هذه الجملة."

ثم أضافت:

"كل شخص أخفى عني شيئاً قال إنه يفعل ذلك من أجلي."

لم يجد أسر جواباً.

فتحت ليان الظرف أخيراً، كانت بداخله ورقة واحدة، بسيطة، بخط والدها، بدأت تقرأ.

«ليان،

إذا كنت تقرئين هذه الرسالة، فهذا يعني أنني لم أستطع العودة إليك كما وعدتك، وربما يعني أيضاً أن أمك لم تعد قادرة على حمل السر وحدها.

لا أطلب منك أن تسامحيني.

ولا أطلب منك أن تصدق كل ما ستسمعينه.

أريد منك شيئاً واحداً فقط:

لا تحكمي على أحد قبل أن تعرفي لماذا فعل ما فعل.





يا ابنتي...

هناك شيء واحد أخفيته عنك طوال حياتي، الشيء الذي حدث في تلك الليلة لم يكن حادثًا، وكان الشخص الذي تسبب فيه.. أقرب إلينا مما تتخيلين.

توقفت ليان، ارتجفت الورقة بين أصابعها، رفعت عينيها.
"من؟"

نظر آسر إلى مريم.
ثم قال:
"لا نعرف."

حدقت به.
"ماذا؟"

"والدك لم يذكر الاسم."
"لكنه كان يعرف!"

"نعم."

"إذن لماذا لم يكتبه؟"





شعرت ليان بقشعريرة تسري في جسدها، نظرت إلى أمها.
"من كان مع أبي في تلك الليلة؟"

بقيت مريم صامتة.

قالت ليان:
"أمي، أرجوك."

أخيرًا قالت:
"أنا."

انخفضت الورقة من يد ليان.
"كنت معه؟"

هزت مريم رأسها.
"أنا وأبوك وشخص ثالث."

"من؟"

رفعت مريم عينيها، وكان الخوف فيهما أشد من ذي قبل.
قالت:
"شخص تعرفينه."

"من؟"





نظر آسر نحو النافذة، ثم تغير وجهه.
"لا..."

التفتت ليان.
"ماذا؟"

اقترب من النافذة ونظر إلى الخارج.
كانت سيارة سوداء تقف أمام البيت.

فتح بابها رجل.
لم يظهر وجهه بوضوح.
لكن آسر عرفه.

قال بصوت منخفض:
"كان يجب ألا يصل بهذه السرعة."

سألته ليان:
"من؟"





وفي عينيه للمرة الأولى شيء يشبه الخوف الحقيقي.

"الشخص الذي كنا نحاول ألا يعرف أنك قرأت الرسالة."

وفي اللحظة نفسها...

رن جرس الباب، مرة، ثم مرة ثانية، ثم ثلاث مرات متتالية.

وضعت ليان يدها على صدرها.

أما مريم، فنهضت مذعورة وقالت:
"لا تفتحوا الباب."

لكن أسر كان قد اتجه إليه.

قالت ليان:

"إلى أين؟"

أجاب دون أن يلتفت:
"لأنني أظن أن الوقت انتهى."





الفصل الرابع

الرجل الذي تأخر





لم يكن الرجل الذي وقف خلف الباب غريباً عن أسر.

كان يعرفه.

بل كان يعرفه جيداً.

تراجع أسر خطوة، بينما وقفت ليان خلفه، تحاول أن ترى وجه الرجل.

دخل الرجل دون أن ينتظر دعوة.

كان في أواخر الخمسين، يرتدي معطفاً داكناً، وملاحه جامدة كأن السنوات لم تعلّمه سوى إخفاء ما يشعر به.

حدقت مريم فيه.

وانهارت آخر ذرة من اللون في وجهها.

قالت:

"فؤاد..."



رفع الرجل عينيه إليها.





صرخت ليان:

"من أنت؟"

التفت إليها.

وللمرة الأولى، رأت في عينيه شيئاً يشبه الندم.

قال:

"أنا والد أسر."

نظرت ليان إلى أسر.

ثم إلى الرجل.

"وماذا تريد؟"

قال فؤاد:

"جئت لأمنع خطأً تأخرنا كثيراً في إصلاحه."

ضحكت ليان.

"بعد سبع سنوات؟"

لم يجب.

قالت:

"كل هذه السنوات وأنتم تعرفون؟"



قال فؤاد:

"لم نكن نعرف كل شيء."

"لكنكم كنتم تعرفون ما يكفي لتتركوني أعيش كذبة."

خفض فؤاد رأسه.

"معك حق."

كانت تلك الجملة أبسط مما ينبغي، لكنها جعلت غضبها يشتعل أكثر.

"لا تقل معك حق! أريد الحقيقة."

نظر فؤاد إلى مريم.

"يجب أن تخبرها أنت."

قالت مريم:

"لم أستطع."

"والآن؟"

نظرت مريم إلى ابنتها.

"الآن لم يعد لدي حق الاختيار."

اقترب أسر من والده.

"أبي، ماذا حدث في تلك الليلة؟"

رفع فؤاد عينيه إليه.

"حدث شيء لم يكن يجب أن يحدث."

"هذا ليس جوابًا."





تنهد.

"والد ليان كان يريد أن يغادر."

قالت ليان:

"إلى أين؟"

"إلى مكان لا يستطيع أحد الوصول إليه."

"لماذا؟"

صمت فؤاد.

ثم قال:

"لأنه اكتشف شيئًا."

سألت ليان:

"ماذا اكتشف؟"

نظر إلى أسر، ثم إليها.

"أن الشخص الذي كان يهدده طوال تلك السنوات... لم يكن
عدوًا."



"من كان؟"



قال فؤاد:

"كان شخصًا من عائلته."

تراجعت ليان.

"مستحيل."

"أتمنى لو كان كذلك."

ثم أخرج فؤاد مفتاحًا صغيرًا من جيبه، ووضعه على الطاولة.

"والدك ترك هذا عندي."

نظرت ليان إليه.

"لماذا؟"

قال:

"لأن المكان الذي يفتح هذا المفتاح فيه كل ما لم يستطع قوله لك."

أمسكت ليان المفتاح، كان باردًا، لكن شيئًا في داخلها كان يحترق، وفي تلك اللحظة فهمت أن حياتها القديمة انتهت، وأنها إن أرادت الحقيقة...





الفصل الخامس

أشياء لا تُقال





لم يسأل أحد إلى أين ستذهب ليان.

كان السؤال الوحيد:

متى؟

في صباح اليوم التالي، وقفت أمام المرأة، تنظر إلى وجهها طويلاً.

كانت تشعر أنها أصبحت شخصاً آخر.

قالت لنفسها:

"هل كنت سعيدة لأنك لم تعرفي؟"

لم تجد جواباً.

دخلت سلمى الغرفة.

"أنت ذاهبة."





أجابتها ليان:

"نعم."

"إلى أين؟"

"لا أعرف."

"ومع من؟"

ترددت.

ثم قالت:

"آسر."

تنهدت سلمى.

"لا أثق به."

"ولا أنا."





أغلقت ليان حقيبتها.

"لأنني لا أثق بأحد."

اقتربت سلمى منها.

"وأنتِ؟"

نظرت ليان إليها.

"ماذا عني؟"

"هل تثقين بنفسك؟"

صمتت.



كانت تلك أول مرة تخاف فيها ليان من الإجابة.



في السيارة، لم يتحدث أسر كثيرًا.



كانت الطريق طويلة، والمدينة تتراجع خلفهما شيئًا فشيئًا.

قالت ليان:

"إلى أين؟"

"إلى بيت قديم."

"بيت من؟"

"والدك."

نظرت إليه.

"كنت تعرفه؟"

"قابله مرتين."

"ولماذا أشعر أنك تعرفه أكثر مني؟"





"لأنني قابلت الرجل الذي كان يحاول أن يصبح أبًا جيدًا،
بينما أنتِ عرفتِ الأب الذي كان قد أصبح كذلك."

سكتت.

ثم قالت:

"هل كان يحبني؟"

ضغط أسر على المقود.

"كان يحبك أكثر مما ينبغي."

"ماذا يعني ذلك؟"

"كان مستعدًا لأن يخسر كل شيء كي لا تخسري أنتِ شيئًا."



نظرت من النافذة.





همست:

"ومع ذلك خسرتك."

قال أسر:

"أحياناً نحي من نحب بطريقة تؤذي."

التفتت إليه.

"هل تتحدث عن أبي؟"

"عن أبي."

سكتت.

ثم سألته:

"لماذا تساعدني؟"

لم يجب.

"آسر."

قال أخيراً:

"لأنني مدين لك."

"بماذا؟"

نظر إليها.

"بحياتي."





وصلوا بعد ساعتين.

كان البيت صغيراً، مهجوراً، تحيط به أشجار قديمة.

نزلت ليان من السيارة.

شعرت بقلبيها يخفق.

قال أسر:

"المفتاح."

أخرجته، أدخلته في الباب، صدر صوت القفل، فتح الباب،
دخلت.

كانت رائحة المكان تشبه شيئاً من طفولتها، لم تعرف ما هو.





طفلة في السادسة.

بجانبيها والدها.

وعلى ظهر الصورة كتبت جملة:

"في هذا اليوم، عرفت أن قلبي يمكن أن يخاف من فقدان
شخص لم أفقده بعد."

ارتجفت يدها.

قال أسر:

"هو كتبها."

لمست الصورة.





ثم قالت:

"أريد أن أعرف كل شيء."

أجاب:

"حين تعرفين كل شيء، قد تتمنين لو بقي بعضه مجهولاً."

نظرت إليه.

"لم أعد أخاف."

قال:

"ستفعلين."

وسكت قليلاً.





الفصل السادس

نصف قلب





في الطابق العلوي، وجدت ليان غرفة مغلقة، كان المفتاح الصغير لا يزال في يدها.

نظرت إلى أسر.

"هل تعتقد أنه يفتح هذه؟"

"جربي."

أدخلت المفتاح.

استدار بسهولة.

انفتح الباب.

كانت الغرفة فارغة تقريبًا، مكتب، كرسي، خزانة، وصندوق خشبي صغير، اقتربت ليان منه، على الصندوق نقش اسمها، ليان، جلست على الأرض، فتحت الصندوق.





في داخله عشرات الرسائل.

رسائل لم تصلها.

كانت كلها تحمل اسمها.

أخذت الأولى.

"إلى ابنتي..."

لم تستطع إكمالها.

قال أسر:

"خذي وقتك."

بدأت تقرأ.

كان والدها يكتب لها عن أشياء صغيرة.

عن أول يوم مدرسة.

عن عيد ميلادها.

عن خوفه من أن تكبر بعيداً عنه.

عن كل مرة أراد أن يعود فيها ولم يعد.





ثم وصلت إلى رسالة مختلفة.

كانت أقصر.

«ليان،

إن وصلتِ إلى هذه الرسالة، فاعلمي أنني لم أترككِ
لأنني لم أحبك.

تركتكِ لأن بقائي كان سيضعكِ في خطر.

وهناك فرق كبير بين أن يتخلى الإنسان عن من يحب...

وأن يبتعد عنه كي يبقى حيًا.»



قالت:

"لماذا لم يخبرني؟"

"ربما لم يستطع."

"كان يستطيع."

"أحيانًا الخوف يجعل الإنسان جبانًا."

نظرت إليه.

"وأنت؟"

"ماذا؟"

"هل كنت ستفعل الشيء نفسه؟"

سكت.

ثم قال:

"لا أعرف."

"إذن لا تدافع عنه."

"أنا لا أدافع عنه."





"إذن لماذا تفعل كل هذا؟"

اقترب منها.

"لأنني أعرف كيف يكون شعور أن يكبر الإنسان وهو يعتقد أن شخصًا ما تخلي عنه،
ثم يكتشف أنه كان يحاول حمايته."

رفعت عينيها إليه.

"من تخلي عنك؟"

لم يجب.

لأول مرة، رأت في عينيهِ الجدار نفسه الذي بنته داخلها.

قال:

"ليس الآن."

لكنها فهمت.

أن أسر لم يكن مجرد رجل يحمل رسائل والدها.

كان يحمل جرحًا مشابهًا لجرحها.



ولهذا ربما عرف طريق قلبها قبل أن تعرف هي طريق قلبه.





الفصل السابع

حين التقينا مجدداً





في تلك الليلة، نامت ليان في غرفة والدها، لم تستطع النوم، كانت الرسائل حولها.

كان سبع سنوات من الغياب قررت أن تجلس بجوارها دفعة واحدة.

عند منتصف الليل، سمعت صوت خطوات في الممر.

فتحت الباب.

وجدت أسر جالساً قرب النافذة.

قالت:

"لم تنم؟"

"لا."

جلست إلى جواره.

"هل كنت تعرف أنني سأكرهك؟"





"لأنك كنت تعرف أشياء عن أبي ولم تخبرني."

قال:

"كنت أخشى أن أؤذيك."

ابتسمت.

"الجميع يخشون أذيتي بطريقة تؤذيني."

نظر إليها طويلاً.

ثم قال:

"ربما لأنك لا تسمحين لأحد أن يكون ضعيفاً أمامك."

"وأنت؟"

"أنا لا أحب أن أكون ضعيفاً."

"لماذا؟"

قال:





سكتت، ثم قالت:

"أعرف ما أكثر شيء يؤلمني؟"

"ماذا؟"

"أنني لم أعد أعرف أي ذكرياتي حقيقية."

نظر إليها.

"كل شيء كان موجودًا."

"لكن المعنى تغير."

أومأ.

"أحيانًا الحقيقة لا تغير الماضي، لكنها تغير الطريقة التي نتذكره بها."

كانت جملته بسيطة.

لكنها أصابت شيئًا عميقًا فيها.

قالت:





أجاب:

"عشت أكثر مما تتخيلين."

نظرت إليه، وفي تلك اللحظة، لم تر الرجل الذي جاء يحمل أسراراً، رأت إنساناً متعباً، مثلها.

قالت:

"آسر."

"نعم؟"

"لا أريد أن أكرهك."

تغيرت ملامحه.

قال:

"ولا أنا أريد أن تكوني مضطرة إلى ذلك."

كانت تلك أول مرة يلتقي فيها قلبان متشابهان دون أن يعترفا بتشابههما.

وكانت أول مرة تشعر ليان أن قربها لا يخيفها تماماً.

وهذا تحديداً...





الفصل الثامن

ما أخفاه الغياب





في الصباح، وجد أسر ظرفاً جديداً تحت باب البيت، لم يكن موجوداً في الليلة السابقة، فتح الظرف، كانت بداخله ورقة واحدة، قرأها، ثم تغير وجهه.

سأله ليان:

"ماذا هناك؟"

أعطاهم الورقة.

كان مكتوباً:

"توقف عن البحث، يا أسر، قبل أن تخسرها كما خسرتها والدها."

رفعت ليان رأسها.

"من أرسلها؟"

"لا أعرف."

"لكنهم يعرفون أنك هنا."

"نعم."

"ويعرفونني."

"نعم."





قالت بجدة:

"إذن نحن لسنا وحدنا."

هز رأسه.

"لم نكن وحدنا منذ البداية."

في طريق العودة، كان آسري يقود بسرعة أكبر من المعتاد.

قالت ليان:

"قل لي الحقيقة."

"أي حقيقة؟"



"هل أبي كان يهرب من شخص واحد؟"





"آسر."

قال:

"من مجموعة."

شعرت بالبرد.

"من هم؟"

"لا أعرف."

"لكن والدك يعرف."

"نعم."

"إذن نذهب إليه."

"لا."

"لماذا؟"

"لأنه لن يخبرنا."

"بل سيخبرني."

نظر إليها.

"ولماذا أنت واثقة؟"



قالت:

"لأنه مدين لي."

ابتسم أسر رغم قلقه.

"أنتِ بدأتِ تتغيرين."

"إلى الأسوأ؟"

"إلى الأقوى."

حين وصلا، كانت مريم تنتظرهما.

وقفت ليان أمامها.

"أريد الحقيقة كاملة."

قالت مريم:

"لا أستطيع."

"لماذا؟"





"ماذا يعني هذا؟"

أمسكت مريم يد ابنتها.

"يعني أن هناك شخصًا قريبًا منك جدًا..."

ثم توقفت.

قالت ليان:

"من؟"

أجهشت مريم بالبكاء.

"أنا خائفة أن أخسرك."

تراجعت ليان.

"أمي، من هو؟"

قالت مريم:





سكتت.

ثم قالت:

"هو الشخص الذي ظنّاه جميعًا مات."

حدقت ليان فيها.

وفي تلك اللحظة فهمت أن الحكاية لم تعد عن موت
والدها فقط.

هناك شخص آخر...

كان حيًا طوال هذه السنوات.





الفصل التاسع

لم تكن صدفة





لم تستطع ليان أن تتحدث.

كانت جملة أمها تدور في رأسها:

الشخص الذي ظنناه جميعاً مات.

قال أسر:

"من؟"

لم تجبه مريم.

قالت ليان:

"أمي، أرجوك."

بقيت صامتة.

ثم قالت:

"اذهبا إلى أبي."

نظر أسر إليها.

"لماذا؟"





كان فؤاد في مكتبه عندما وصلا.

لم يبدُ متفاجئًا.

كأنه كان ينتظرهما.

قال:

"عرفت أنكما ستأتيان."

قالت ليان:

"أمي قالت إن شخصًا ظننتموه ميتًا ما زال حيًا."

أغمض فؤاد عينيه.

"مريم أخبرتك؟"

"نعم."

جلس.

"هناك شخص واحد فقط."

"من؟"

رفع عينيه إليها.

"عمك."



تجمدت.

"عمي؟"

"أخوك والدك."

"لكنني حضرت جنازته."

قال:

"كانت الجنازة لغيره."

شعرت ليان بالدوار.

"لماذا؟"

"لأنه كان أحد الأشخاص الذين يعرفون الحقيقة."

"أي حقيقة؟"

قال فؤاد:

"أن والدك لم يكن متورطاً في شيء."

"إذن من كان؟"





"وأنا؟"

قال:

"أنتِ لم تكوني تعرفين."

صرخت:

"وهذا هو أسوأ شيء!"

ثم جلست على المقعد القريب.

وضعت يديها على وجهها.

لم تبكِ.

قال أسر:

"ابكي."

رفعت رأسها.

"ماذا؟"

"ابكي."

"لا أستطيع."

جلس أمامها.



"لماذا؟"

"لأنني لو بدأت، أخشى ألا أتوقف."

قال:

"إذن لا تتوقفي."

نظرت إليه.

وللمرة الأولى، سمحت لدموعها أن تسقط أمام شخص آخر.

لم يحاول مواساتها.

لم يقل إنها ستكون بخير.

فقط بقي.





من رقم مجهول.

"إذا أردت معرفة الحقيقة عن والدك، تعالي وحدك."

ثم عنوان.

وتحت العنوان:

"ولا تثقي بأسر."

قرأت ليان الرسالة مرتين.

ثم رفعت عينيها إليه.

كان واقفاً بعيداً عنها.

لم يكن يعرف شيئاً.

وهنا أدركت أن شخصاً ما بدأ يلعب بأكثر نقطة ضعف فيها:

ثقتها.

لكنها لم تكن تعرف بعد...





الفصل العاشر

ما أخفاه الغياب





لم تخبر ليان أسر عن الرسالة.

وضعتها في جيب معطفها.

للمرة الأولى، قررت أن تخفي شيئاً عنه.

وكان ذلك يؤلمها أكثر مما توقعت.

في اليوم التالي، خرجت وحدها.

كان المكان الذي أرسلت إليه مهجوراً، إلا من منزل قديم في نهاية الطريق.

وقفت أمام الباب.

ترددت.

ثم طرقت.

لم يجب أحد.

طرقت مرة ثانية.

فُتح الباب.

وكان الرجل الذي يقف خلفه يشبه والدها.

ليس تماماً.

لكن في عينيه شيء منه.





تراجعت خطوة.

قال الرجل:

"دخلت أخيرًا."

همست:

"من أنت؟"

قال:

"أنا الشخص الذي كان والدك يخاف أن تعرفي عنه."

"عمي؟"

ابتسم.

"كان يجب أن أكون آخر شخص تريدین رؤيته."

قالت:

"أين أبي؟"

تغيرت ابتسامته.

"مات."

"أعرف."

"لا، لا تعرفين."

اقترب منها.





"والدك لم يمت عندما أخبروك."

ارتجفت.

"متى مات؟"

قال:

"في الليلة التي حاول فيها إنقاذك."

تجمدت.

"إنقاذي من ماذا؟"

نظر إليها طويلاً.

"منك."

"متي؟"

"من شيء حدث عندما كنت طفلة."

شعرت أن العالم ضاق حولها.

"أنا لا أفهم."



قال:

"لأنهم أخفوا عنك كل شيء."



ثم أخرج صورة.

كانت ليان طفلة.

تقف أمام سيارة محطمة.

وبجانبها والدها.

لكن في الخلفية كان هناك شخص آخر.

رجل يحمل شيئاً في يده.

رفعت ليان الصورة.

"من هذا؟"

قال عمها:

"الرجل الذي بدأ كل شيء."

"من؟"

اقترب منها.

وقال:

"والد أسر."





في تلك اللحظة، سمعت صوتًا خلفها.

"لا تصدقيه."

استدارت.

كان أسر واقفًا عند الباب.

وجهه شاحب.

نظر إلى عمه.

ثم إلى ليان.

قال عمه بسخرية:

"تأخرت يا أسر."

قال أسر:

"هذه المرة لن أسمح لك أن تكذب عليها."

سأله ليان بصوت مرتجف:

"هل كان أبي يخاف من والدك؟"





صمت أسر.

وكان صمته هذه المرة جواباً.

تراجعت ليان.

"أنت كنت تعرف."

قال:

"كنت أعرف جزءاً."

"أي جزء؟"

"أن أبي كان هناك."

"في تلك الليلة؟"

أوماً.

قالت:

"وماذا فعل؟"

لم يجب.

صرخت:

"ماذا فعل؟!"





خفض رأسه.

ثم قال:

"قتل شخصًا."

سكت الجميع.

تابع أسر:

"لكن ليس والدك."

رفعت ليان عينيها.

"من إذن؟"

نظر إليها.

وقال:

"أمي."





ثم سقطت الصورة من يدها مرة أخرى.

لكن هذه المرة...

لم يكن فيها رجل غريب.

كان فيها والد أسر.

وكان يحمل شيئًا في يده.

شيئًا لم تستطع ليان أن تراه بوضوح.

أما أسر...

فكان يعرف تمامًا ما هو.

ولهذا كان وجهه يقول إن الحقيقة التي تبحث عنها ليان منذ سبع

سنوات...



قد تكون أقسى من كل الأكاذيب التي عاشتها.





الفصل الحادي عشر

أنتِ كما أنتِ



لم تعد ليان تعرف بمن تثق.

كانت الحقيقة تتبدل أمامها كلما ظنت أنها أمسكت بها، وكأن الماضي يملك ألف وجه، وكل وجه منها يخفي جرحاً جديداً.

خرجت من البيت القديم دون أن تنظر خلفها.

لحق بها أسر.

قال:

"ليان، انتظري."

لم تتوقف.

"قلت لك انتظري."

استدارت بعينين غاضبتين.

"لا أريد أن أسمع منك شيئاً."

"لكن يجب أن تسمعي."

"سمعت ما يكفي."

اقترب منها.

"أبي لم يقتل أتي."

رفعت عينيها إليه.

"وأنا لا أعرف إن كنت أصدقك."



"لا أطلب منك أن تصدقيني."

"إذن ماذا تريد؟"

قال:

"أن تعطيني فرصة لأثبت لك."

ضحكت بمرارة.

"أنا لم أعد أملك رفاهية الفرص."

سكت آسر.

ثم قال:

"وأنا لم أعد أملك رفاهية خسارتك."

كانت تلك أول مرة يقول شيئاً يشبه الاعتراف.

لكن ليان لم تجبه.





فصل الثاني عشر

جرح قديم





عاد أسر إلى والده.

قال:

"لماذا كذبت علي؟"

أجاب فؤاد:

"لم أكذب."

"قلت إن أمي ماتت في حادث."

"ماتت في حادث."

"لكنها لم تكن وحدها."

صمت فؤاد.

قال أسر:

"كان أبيها هناك."

"نعم."

"وكان أخوها هناك."

"نعم."

"إذن ماذا حدث؟"





جلس فؤاد طويلاً قبل أن يقول:

"والد ليان لم يقتل أمك. حاول إنقاذها."

"ومن قتلها؟"

نظر إليه.

"الرجل الذي أمامك."

تجمد أسر.

"أنت؟"

أوما فؤاد.

"أنا."

لم يجد أسر كلاماً.

قال فؤاد:

"لم أقصد قتلها."

"لكنك قتلتها."





"كنت أحاول أن أحميك."

"من ماذا؟"

قال فؤاد:

"من الحقيقة."

ثم أضاف:

"والحقيقة أنك كنت السبب الذي جعلني أفقد

السيطرة."

لم يفهم أسر.

لكن شيئاً في داخله انكسر.





الفصل الثالث عشر

ليلة الاعتراف



في تلك الليلة، أخبر أسر ليان بكل شيء يعرفه.

عن أمه، عن أبيه، عن والدها.

وعن السنوات التي ظل فيها فؤاد يراقب من بعيد.

قالت ليان:

"ولماذا ساعدتني؟"

"لأن والدك طلب مني ذلك."

"متى؟"

"قبل موته."

أخرج أسر رسالة.

كان فيها:

«اعتنِ بها، لا لأنها ابنتي، بل لأنها إنسانة تستحق أن تجد من يقول لها الحقيقة عندما

يعجز الجميع.»





قال أسر:

"كنت أظن أنني أساعدك من أجل أبيك."

نظرت إليه.

"والآن؟"

سكت.

ثم قال:



"الآن أفعل ذلك من أجلك." 99





الفصل الرابع عشر

بيننا ألف سؤال





بذات ليان تشعر بالخوف من قربها، ليس لأنه يؤذيها، بل لأنه لا يفعل، كان وجوده هادئًا على نحو يربكها.

قالت له ذات مساء:

"أخاف منك."

ابتسم.

"لماذا؟"

"لأنني أشعر بالأمان معك."

تغيرت ملامحه.

"وهل الأمان مخيف؟"

"حين يأتي بعد عمر كامل من الخوف... نعم."

لم يقترب.

قال فقط:

"لن أطلب منك أن تثقي بي."

"وماذا ستفعل؟"





الفصل الخامس عشر

الخوف من الاقتراب





بدأت ليان تتعافى ببطء، لكنها كلما اقتربت من أسر،
تراجعت.

قالت سلمى:

"أنتِ تحبينه."

أجابت:

"لا."

"إذن لماذا تخافين من خسارته؟"

لم تجد جوابًا.

قالت سلمى:

"أحيانًا لا نخاف من الحب، بل نخاف من أن نصدقه."





الفصل السادس عشر

حين خانتني عيناى



في أحد الأيام، مرضت ليان من الإرهاق.

بقي أسر إلى جوارها حتى نامت.

عندما استيقظت، وجدته جالساً قرب النافذة.

قالت:

"لماذا بقيت؟"

أجاب:

"لأنك عندما تنامين، تتوقفين عن التظاهر بأنك قوية."

ابتسمت.

"وأنت؟"

"أنا أظاهر طوال الوقت."

لأول مرة، مدت يدها نحوه.

لم تقل شيئاً.

لكنه فهم.

أمسك يدها برفق.

وفي تلك اللحظة، خانتها عيناها.

لم يكن فيهما خوف.

كان فيهما حب.





الفصل السابع عشر

وعد لا يشبه الوعود





قال أسر:

"لن أعدك أنني لن أؤذيك."

نظرت إليه باستغراب.

"بل سأعدك بشيء أصعب."

"ماذا؟"

"إذا أخطأت، لن أختبئ خلف الصمت."

قالت:

"وهل تستطيع؟"

"سأحاول."

"وماذا لو خفت؟"

"سأخبرك أنني خائف."

ابتسمت.

"هذا ليس وعدًا رومانسيًا."





الفصل الثامن عشر

الطريق إلى الأمس





قادها أسر إلى المكان الذي وقعت فيه الحادثة، كان الطريق مهجورًا.

وقفت ليان أمام الأشجار، شعرت أنها تعرف المكان، وفجأة عادت إليها صورة قديمة:

والدها يركض، صوت صراخ، زجاج يتحطم، وامرأة تسقط، وضعت يدها على رأسها.
"كنت هنا."

قال أسر:

"نعم."

"كنت طفلة."

"نعم."

ثم قالت:

"لكنني أتذكر شيئًا."

التفت إليها.

"ماذا؟"

همست:





الفصل التاسع عشر

ما تركه أبي





عاد إلى الصندوق، بحثاً طويلاً، حتى وجدت ليان تسجيلاً صوتياً قديماً، شغلته.
جاء صوت والدها:

"إذا حدث لي شيء، فابحثوا عن الدفتر الأزرق."

توقفت ليان.

قال:

"ليس الدفتر عندي."

ثم ذكر مكاناً.

"المكتبة القديمة."

نظرت ليان إلى أسر.

قال:

"لدينا مكان جديد."

لكن خلفهما، كان شخص ما يراقبهما من بعيد.





الفصل العشرون

صندوق الذكريات





في المكتبة القديمة، وجدوا الدفتر، كان مليئًا بأسماء وتواريخ وحسابات، وفي آخر صفحة كتب والد ليان:

"الحقيقة ليست في من قتلني، بل في لماذا أرادوا إسكاتي."

وتحتها اسم واحد، ياسر.
تجمدت ليان.

"ياسر؟"

كان اسمًا من ماضيها.

الشخص الذي ظنت أنه جرح قديم وانتهى.

قال آسر:

"هل تعرفينه؟"

أجابت بصوت خافت:

"كان أول شخص علّمني أن أثق."

ثم رفعت عينيها.

"وآخر شخص علّمني ألا أثق بأحد."





الفصل الحادي والعشرون

الحقيقة الأولى





ظهر ياسر بعد سنوات، لم يبدُ عليه الندم.

قال: "تغيرت".

أجابته ليان: "أنت أيضًا".

"هل أخبرك أسر بكل شيء؟"

"لا".

ابتسم.

"إذن ما زلت لا تعرفين."

قالت: "ماذا؟"

اقترب.

"أن أباك كان يثق بي."

أجابته:

"وأنا كنت أثق بك."

اختفت ابتسامته.

قالت:

"لكن الثقة التي تُكسر مرة لا تعود كما كانت."





الفصل الثاني والعشرون

حين سقط القناع





اكتشف أسر أن ياسر كان يعمل مع والد ليان.

لكنه لم يكن الخائن.

كان يحاول مساعدته.

الخائن كان شخصاً آخر.

شخصاً أقرب.

شخصاً عاش بينهم سنوات طويلة.

كانت الصدمة حين اكتشفوا أن عم ليان لم يكن
يعمل وحده.

كان هناك من داخل العائلة يزوده بالمعلومات.





الفصل الثالث والعشرون

لم أكرهك





واجهت ليان ياسر.

قال:

"أنا خذلتك."

أجابته:

"نعم."

"هل تكرهيني؟"

صمتت.

"لا."

رفع عينيه.

قالت:

"لكنني لم أعد أريدك في حياتي."





الفصل الرابع والعشرون

قلب يقاوم





بدأت ليان تقع في حب أسر بوضوح.

لكنها قاومت.

قالت له:

"أنا أخاف أن أحبك."

أجاب:

"وأنا أخاف أن تحبيني."

"لماذا؟"

"لأنني إن أصبحت شيئاً ثميناً لك، سأصبح شيئاً تستطيع الحياة أن
تؤذيك من خلاله."

قالت:

"ربما الحب ليس أن نحمي بعضنا من الألم."

"إذن ما هو؟"





الفصل الخامس والعشرون

منتصف الحكاية





بعد شهور من البحث، ظهرت الحقيقة:

والد ليان كان يحقق في شبكة فساد تورط فيها عدد
من الأشخاص.

اكتشف أن عمه كان جزءًا منها.

لكن فؤاد لم يكن شريكًا.

كان قد حاول إيقاف الأمر، إلا أن مواجهته انتهت
بموت زوجته بالخطأ.

ومنذ ذلك اليوم، عاش فؤاد يحمل ذنبًا لم يستطع
الاعتراف به.

أما والد ليان، فاخفى لحماية ابنته.



الفصل السادس والعشرون

الرحيل الذي لم يحدث





قررت ليان الرحيل.

لم تخبر أسر.

كتبت له رسالة:

«أحببتك، لكنني لا أعرف كيف أحب دون خوف.»

وعندما هممت بالمغادرة، وجدها أسر.

قال:

"لو أردت الرحيل، لن أمنعك."

بكت.

"لماذا لا تتمسك بي؟"

قال:

"لأنني أحبك بما يكفي لألا أحول حبك إلى قفص."

احتضنته.





الفصل السابع والعشرون

أحببتك رغماً عني





قالت ليان:

"أنا أحبك."

صمت أسر، ثم ابتسم.

"قولها مرة أخرى."

ضحكت وسط دموعها.

"لا."

قال:

"إذن سأعتبر أنني حلمت."

قالت:

"أحبك يا أسر."

أغمض عينيه.





الفصل الثامن والعشرون

حين أصبح الغياب قريباً





اختفى أسر.

لم يرد على اتصالاتها.

لم تعرف أين ذهب.

ثم وصلها خبر:

والده اختفى.

والشرطة تبحث عنه.

فهمت ليان أن الماضي عاد.

لكن هذه المرة لم تهرب.

قالت:

"سأذهب إليه."



الفصل التاسع والعشرون

رسالة من الماضي





وجدت ليان رسالة من أبيها.

«يا ابنتي،

إن وصلتِ إلى هذه المرحلة، فأنا أعرف أنكِ كبرتِ.

ربما تكرهينني.

وربما تسألين لماذا تركتكِ.

سامحيني على كل ليلة احتجتِ فيها إليّ ولم أكن هناك.

لكنني لم أترككِ لأنكِ لم تكوني كافية.

تركتكِ لأنكِ كنتِ أغلى من أن أخطر بكِ.»

بكت ليان.

لأول مرة، لم تشعر بالغضب.





الفصل الثلاثون

الندبة لا تكذب





عاد أسر، لكنه كان مصابًا.

وقفت ليان أمامه.

قال:

"أنا بخير."

صرخت:

"لا تقل لي إنك بخير!"

ثم بكّت.

"أنا تعبت من الأشخاص الذين يحبونني وهم يختفون."

اقترب منها.

قال:

"لن أخفي."

أجابته:

"لا تعد."

"لماذا؟"

"لأنني أريدك أن تبقى، لا أن تعدني بالبقاء."

فهم.

وقال:

"إذن سأبقى ما استطعت."



الفصل الحادي والثلاثون

ما بيننا ليس حباً فقط





لم يعد ما بين ليان وآسر مجرد حب.

صار شراكة.

كل واحد منهما أصبح يعرف متى يصمت الآخر، ومتى يحتاج إلى كلمة، ومتى يحتاج فقط إلى وجود شخص بجانبه.

قالت ليان:

"أشعر أنك أصبحت جزءاً مني."

قال:

"وأنا لا أريد أن أكون جزءاً منك."

استغربت.

فأكمل:

"أريد أن أكون إنساناً كاملاً إلى جوارك، وأريدك كاملة إلى جوارِي."



فهمت.





الفصل الثاني والثلاثون

الليلة الأخيرة





واجهوا عم ليان، اعترف بكل شيء.
قال:

"كنت أظن أنني إذا أخفيت الحقيقة، سأحبي نفسي."

سألته ليان:
"وهل حماك ذلك؟"

نظر إليها.
"لا."

قالت:
"لكنك سرقت مني أبي."

أطرق رأسه.
"أعرف."

"وسرقت طفولتي."

بكى.
"أعرف."

لم تسامحه.

ليس بعد.





الفصل الثالث والثلاثون

حين اختار الرحيل





كان على فؤاد أن يواجه القانون.

قبل رحيله، جاء إلى ليان.

قال:

"والدك كان أفضل مني."

أجابته:

"لكنه كان إنسانًا."

قال:

"وأنا أيضًا."

نظرت إليه.

"وهذا هو أصعب شيء."

فهم أنها لا تراه وحشًا.

ولا تبرئه.





الفصل الرابع والثلاثون

بعدك





لأول مرة، لم تكن ليان خائفة من الوحدة.

بدأت تعمل، عادت إلى دراستها، أصلحت علاقتها
بأمها، وأدركت أن حياتها لا يجب أن تبقى معلقة
بما حدث في الماضي.

قالت سلمى:
"أنتِ تغيرت."

ابتسمت ليان.

"لا."

"إذن؟"





الفصل الخامس والثلاثون

أيام بلا لون



مرت أشهر.

لم تختفِ الندوب.

لكنها لم تعد تؤلم كل يوم.

كانت ليان تتذكر أباهها دون أن تنهار.

وتتذكر الماضي دون أن تسكن فيه.

وهذا كان أول انتصار حقيقي لها.





الفصل السادس والثلاثون

حين تعلمت أن أنجو





فهمت ليان أن النجاة ليست أن تنسى.

النجاة أن تتذكر دون أن تعود إلى المكان نفسه.

قالت لأسر:

"كنت أظن أنني أحتاج شخصًا ينقذني."

قال:

"والآن؟"

ابتسمت.

"اكتشفت أنني كنت أحتاج شخصًا يؤمن أنني

قادرة على إنقاذ نفسي."





الفصل السابع والثلاثون

المرأة





وقفت أمام المرأة.

رأت الفتاة التي كانتها.

ثم رأت المرأة التي أصبحتها.

قالت:

"آسفة لأنني قسوت عليكِ كل هذه

السنوات."

كانت أول مرة تسامح فيها نفسها.





الفصل الثامن والثلاثون

أنا التي نسيتها





عادت إلى الأشياء التي أحبتها قبل أن تعرف
الألم.

الكتب.

الموسيقى.

المشي الطويل.

الضحك.

اكتشفت أنها لم تفقد حياتها.

كانت فقط قد وضعتها جانباً أثناء محاولتها





الفصل التاسع والثلاثون

العودة إلى نفسي





قالت لأمها:

"أنا غاضبة منك."

قالت مريم:

"أعرف."

"لكنني أحبك."

بكت أمها.

احتضنتها ليان.

وقالت:

"الغفران لا يعني أن ما حدث لم يؤلمني."

أجابتها مريم:

"أعرف."





الفصل الأربعون

طرق لا تؤدي إليك





أدركت ليان أن بعض الأشخاص يجب أن يبقوا في الماضي.

ليس لأنهم سيئون دائماً.

بل لأن وجودهم لم يعد يناسب النسخة الجديدة منها.

قالت لياسر:

"أشكرك على كل شيء."

"حتى ما فعلته؟"

"لا."

ابتسمت.



"أشكرك لأنني تعلمت بعدك ألا أخسر نفسي من أجل أحد."





الفصل الحادي والأربعون

حين طرق الباب





عامٌ لم يكن طويلاً بما يكفي لنسيان كل شيء، ولا قصيراً بما يكفي
ليبقى الوجد على حاله.

تغيّرت أشياء كثيرة خلال ذلك العام.

تغيّرت ليان.

لم تعد تستيقظ وهي تنتظر خبراً من الماضي، ولم تعد تقف طويلاً أمام
هاتفها، تتساءل إن كان أسر سيتصل أم لا. تعلّمت أن تمضي يومها
دون أن تجعل غياب أحدٍ هو محور حياتها، وأن تضع لنفسها مكاناً لا
يستطيع أحد أن ينتزعه منها.

بدأت تهتم بأشياء كانت قد نسيتها.

بالكتب التي تراكم عليها الغبار، بالقهوة التي كانت تشربها باردة
لأنها كانت تنشغل بالتفكير، بالمشي الطويل في المساء، وبالأحاديث
الصغيرة مع أمها.



حتى وجهها تغيّر.



وفي مساء بارد، بينما كانت ترتب بعض الأوراق القديمة في غرفتها، سمعت طرقًا خافتًا على الباب.

توقفت.

طريقة أخرى.

هذه المرة كانت أوضح.

لم تعرف لماذا تسارع قلبها قبل أن تعرف من الطارق.

وضعت الأوراق جانبًا، ومشت نحو الباب ببطء.

وحين فتحته...

توقف الزمن للحظة.

كان آسر واقفًا أمامها.

لم يحمل وردًا.

ولا خاتمًا.



ولا تلك الابتسامة التي كان يستخدمها قديمًا ليخفي خوفه.





ويدا مختلفًا، أكثر هدوءًا، أكثر تعبًا، وأكثر صدقًا.

نظرت إليه طويلًا، وكأنها تحاول أن تتأكد أنه ليس أحد أشباح الماضي التي اعتادت أن تظهر في ذاكرتها.

قال بصوت خافت:

— مرحبًا، ليان.

لم تجبه فورًا.

كان في عينيها ألف سؤال، لكنها لم ترغب أن تمنحه أيًا منها بسهولة.

قال:

— أعرف أنني تأخرت.

أجابته بهدوء:

— عامًا كاملاً.

أطرق رأسه قليلاً.

— أعرف.

— ولماذا عدت؟

رفع الرسالة التي في يده.





نظرت إلى الرسالة.

ثم إليه.

— وما الذي تغير؟

صمت للحظات، وكأنه لا يريد أن يقدم لها إجابة جاهزة.

ثم قال:

— أنا.

كلمة واحدة.

لكنها بدت أقل من كل الاعتذارات التي كان يمكن أن يقولها.

فتحت الباب أكثر، لكنها لم تدعه يدخل.

قالت:

— ظننت أنك لن تعود.

ابتسم ابتسامة صغيرة.

— وأنا ظننت أنني لن أستطيع العودة.

رفعت حاجبها.

— إذا لماذا عدت؟

نظر إليها مباشرة.



— لأنني قضيت عامًا كاملاً أتعلم الفرق بين أن أشتاق إليك... وبين أن أحتاج إليك كي أشعر أنني بخير.

صمتت.

تابع:

— واكتشفت أنني لا أريدك لأنك تنفذيني، ولا لأنني أخاف أن أخسرّك، ولا لأنني لا أستطيع العيش من دونك.

توقّف قليلاً.

— أريدك لأنني، للمرة الأولى، أعرف كيف أكون نفسي بجانبك دون أن أطلب منك أن تحملي ما لا يخصك.

خفضت لياّن عينيها.

كانت الكلمات مختلفة عن كل ما اعتادته منه.

لا وعود كبيرة.

لا "لن أتركك أبداً".

لا عبارات تعدّها بحياة خالية من الألم.

فقط حقيقة بسيطة.



قالت:

— وماذا تريد مني؟

أجاب:

— فرصة.

رفعت عينيها إليه.

— فرصة ماذا؟

— أن أبدأ معك من البداية.

تأملته طويلاً.

ثم قالت:

— بعد كل ما حدث؟

هز رأسه.

— ليس رغم كل ما حدث.

ابتسم.

— بل لأننا عرفنا من نحن بعد كل ما حدث.

لم تستطع ليان أن تمنع ابتسامة صغيرة من الظهور على وجهها، لكنها سرعان ما أخفتها.

قالت:





— أعرف.

— وأني لم أعد تلك الفتاة التي تنتظر منك تفسيرًا لكل شيء.

— أعرف.

— وأني لن أقبل أن تخفي عني شيئًا بحجة حمايتي.

— أعرف.

— وإذا اختلفنا؟

ابتسم.

— سنتحدث.

— وإذا أخطأت؟

— سأعتذر.

— وإذا أخطأت أنا؟

قال بهدوء:

— سأعطيك مساحة لتعتذري، دون أن أجعلك تشعرين أنك مطالبة بأن تكوني كاملة كي أبقى.





كان هذا بالضبط ما احتاجت إلى سماعه، لكنها لم تكن مستعدة للاعتراف بذلك.

مدّ الرسالة إليها.

— هذه لك.

أخذتها.

لم تفتحها.

قالت:

— ما فيها؟

— كل الأشياء التي لم أعرف كيف أقولها عندما كان الوقت مناسباً.

نظرت إلى الظرف، ثم وضعت أصابعها عليه.

— ولماذا لم تقلها الآن؟

ضحك بخفية.

— لأنني تعلمت أن بعض الكلام يجب أن يُقال، وبعضه يجب أن يُكتب حتى لا نهرب منه عندما نخاف.



رفعت نظرها إليه.





رأت الرجل الذي عاد بعد أن تعلّم لماذا رحل.

وهذا الفرق كان كبيرًا.

قال أسر:

— لن أطلب منك أن تنسي.

— ولن أستطيع.

— ولا أريدك أن تفعلي.

— ولن أعدك أنني لن أخاف.

— وأنا لا أريد وعدًا كهذا.

— إذًا ماذا تريد؟

نظر إليها طويلًا.

ثم قال:

— عندما تخافين، أخبريني.

سكت لحظة.

— وعندما أخاف أنا، سأخبرك.

شعرت ليان بشيء دافئ يتحرك في صدرها.

لم يكن حبًا كما كان في الماضي.

كان شيئًا أهدأ.



شيئاً يشبه الطمانينة.



قالت:

— هل تعتقد أن الحب يكفي؟

أجاب:

— لا.

تفاجأت.

تابع:

— الحب وحده لا يكفي. نحتاج إلى الصدق، والصبر، والقدرة على الاعتذار، والشجاعة لنقول "أنا متعب" قبل أن يتحول التعب إلى قسوة.

ثم ابتسم.

— ونحتاج إلى شخصين يريدان البقاء، لا شخصاً واحداً يقاتل عن الاثنين.





ثم تراجعت خطوة إلى الوراء.

هذه المرة...

فتحت الباب أكثر.

لم تقل له "ادخل".

لكنها تركت له مساحة.

وفهم أسر.

دخل بهدوء.

جلسا في المكان نفسه الذي شهد كثيرًا من أحاديثهما القديمة.

لكن شيئًا كان مختلفًا.

لم يكن أحدهما يحاول استعادة الماضي.

كانا يجلسان أمامه، وينظران إليه كما يُنظر إلى شيء انتهى، لكنه علّمنا
كيف نعيش بعده.



فتحت ليان الرسالة.

وكان أول سطر فيها:

"إلى ليان... لا أريد أن أعود إلى حياتك كما كنت، ولا أريد منك أن تعود كما كنت. أريد أن نتعرّف إلى الشخصين اللذين أصبحناهما بعد كل ما حدث."

توقفت عن القراءة.

رفعت عينيها إليه.

فقال:

— لا أريد أن نستعيد قصتنا القديمة.

سألته:

— وماذا تريد؟

ابتسم.



— أريد أن نكتب قصة جديدة... بأيدينا هذه المرة.



وبعد لحظة صمت طويلة، قالت ليان:

— حسنًا.

لم يكن "حسنًا" وعدًا بالزواج.

ولا وعدًا بأن كل شيء سيكون بخير، كان فقط بابًا فُتح من جديد، لكن هذه المرة لم تفتحه ليان لأنها تخاف الوحدة، ولم يطرقه أسر لأنه يخاف الفقد، فتحتة لأنها اختارت، وطرقه لأنه تعلّم أن الحب لا يُطلب بالخوف... بل يُبنى بالاختيار.

وفي تلك الليلة، لم تبدأ قصة حبهما من جديد، بل بدأت قصة أخرى تمامًا...

قصة شخصين عرفا أخيرًا أن النجاة ليست أن يعودا إلى ما كانا عليه،

بل أن يلتقيا بعد كل ما حدث،

ويقررا أن يكونا أفضل مما كانا، وكان ذلك أول بابٍ طرقه

الحب... دون أن يطلب من قلبها أن يخاف.



الفصل الثاني والأربعون

لم أعد كما كنت





في الأيام التالية، لم تتغير حياة ليان فجأة.
لم تستيقظ في اليوم التالي وهي واثقة من أسر.
ولم تختف كل مخاوفها لأنه عاد.
على العكس.

كانت تشعر أحيانًا أن عودته أعادت معها أسئلة ظنت أنها
دفنتها.

هل يمكن للإنسان أن يمنح فرصة ثانية دون أن يخسر
نفسه؟

هل يمكن للحب أن يعود بعد أن عرف الطرفان مقدار
الألم الذي يستطيعان إحداثه ببعضهما؟

وهل الثقة التي انكسرت يمكن أن تُبنى من جديد؟
كانت تسأل نفسها كثيرًا.

وكان أسر لا يستعجل الإجابات.

لم يكن يرسل عشرات الرسائل.

لم يكن يطالبها بأن تكون قريبة.

كان موجودًا فقط.

حين تحتاجه، تجده.

169 وحين تحتاج إلى المسافة، يمنحها إياها.





وفي أحد الأيام، جلسا في مقهى هادئ.

كان المطر يضرب زجاج النافذة.

قالت ليان:

— كنت أخاف أن أحبك.

نظر إليها.

— أعرف.

— لا، لا أظن أنك تعرف.

صمت.

تابعت:

— كنت أخاف أن أحبك ثم أخسرك. أخاف أن تصبح أهم شخص في حياتي،
ثم يأتي يوم وأستيقظ فيه ولا أجذك. كنت أظن أنني إذا منعت قلبي من التعلق،

فلن أتألم.

قال أسر:

— وأنا كنت أخاف أن أفقدك.

نظرت إليه.

— والآن؟

تنفس ببطء.

— الآن أعرف أن الحب ليس ضمانًا لعدم الفقد.

بقيت صامتة.

قال:

— لا أحد يستطيع أن يضمن لي أنك ستبقين. ولا أستطيع أن أضمن لك أنني

لن أغير، أو أن الحياة لن تضع بيننا شيئًا لا نختاره.

ثم نظر إليها.





— لكنني أستطيع أن أضمن شيئاً واحداً.

— ماذا؟

— أنني لن أستخدم خوفي لأمتلكك.

كانت تلك الجملة مختلفة.

قالت:

— ماذا يعني ذلك؟

— يعني أنني سأحبك دون أن أطلب من الحياة أن تضمن لي أنك ستبقى.

سكتت.

ثم ابتسمت ابتسامة هادئة.

— كانت تلك أكثر جملة ناضجة سمعتها في حياتي.

ضحك.

— يبدو أن العام الماضي علّمني شيئاً.

— وأنا؟

— ماذا عنك؟

قالت:

— تعلمت أن الحب لا يعني أن أعطي شخصاً آخر مفاتيح حياتي.

— وماذا يعني؟

— يعني أن أفتح له الباب... وأبقى أنا صاحبة البيت.

ضحك أسر.

— هذه ليان التي أعرفها.

هزت رأسها.

— لا.

سألها:

— ماذا؟

قالت:

— هذه ليان التي لم أكن أعرفها.

نظر إليها طويلاً.

ثم قال:

— ربما لهذا عدت.





الفصل الثالث والأربعون

الاعتذار المتأخر





في إحدى الأمسيات، جلس أسر وليان في الحديقة الصغيرة خلف المنزل.
كانت الأشجار هادئة، والهواء يحمل رائحة التراب بعد المطر.

قال أسر فجأة:

— أريد أن أعتذر.

نظرت إليه.

— عن ماذا؟

— عن أشياء كثيرة.

سكت لحظة.

— عن كل مرة عرفت فيها شيئاً ولم أخبرك.

خفض عينيه.

— كنت أظن أنني أحميك.

قالت ليان:

— أحياناً الحماية أن تقول الحقيقة حتى لو كانت مؤلمة.

هز رأسه.

— أعرف الآن.

— متأخراً.

— نعم.

قالها دون دفاع.

وهذا جعلها تصمت.

تابع:

— كنت أعتقد أنني إذا أبعدتك عن الحقيقة، سأبعد عنك الألم.

— لكنك أبعدت عني حق الاختيار.

أغمض عينيه لحظة.

— أعرف.

ثم نظر إليها.

— ولهذا أنا آسف.

لم تقل شيئاً.

كان الاعتذار صادقاً، لكنه لم يكن يمحو الماضي.

وهذا ما فهمه أسر.



قال:

— لا أطلب منك أن تسامحيني لأنني اعتذرت.

ابتسمت بحزن.

— وأنا لا أريدك أن تعتذر كل يوم عن الشيء نفسه.

— ماذا تريدین؟

قالت:

— أريدك أن تتعلم.

— تعلمت.

— إذا أثبت ذلك عندما يأتي وقت الحقيقة القادمة.

ابتسم.

— سأفعل.

ثم سألها:

— وأنت؟ هل هناك شيء تريدین الاعتذار عنه؟

فكرت.

— نعم.

— ماذا؟

قالت:

— عن كل مرة تأملت فيها ولم أخبرك.

رفع حاجبه.

— كنت ترحلين.





— أعرف.

— لماذا؟

— لأنني كنت أظن أن الصمت يحمي كرامتي.

ثم ابتسمت.

— لكنه كان يعاقبك دون أن تعرف لماذا.

نظر إليها.

— إذًا؟

قالت:

— تعلمت أن أقول عندما أتألم بدل أن أرحل.

ساد الصمت.

ثم قال أسر:

— يبدو أننا عدنا وكل واحد منا يحمل اعتذارًا.

ضحكت.

— وربما هذا أفضل من أن نعود ونحن نحمل الأعذار.

ضحك معها.

وكانت تلك الضحكة الصغيرة، في تلك الليلة، بداية

حقيقية لشيء أكثر نضجًا من الحب الذي عرفاه





الفصل الرابع والأربعون

هل يمكن للقلب أن يغفر؟





جلست ليان أمام قبر والدها.
كانت السماء ملبدة بالغيوم، والهواء باردًا.
وضعت يدها فوق الحجر، وبقيت صامتة طويلاً.
لم تأتِ هذه المرة لتبحث عن إجابة.
كانت قد تعبت من الأسئلة.
قالت أخيراً:
— غفرت لك.

خرجت الكلمات بصعوبة.
سكتت.

ثم أضافت:
— لكنني ما زلت أشتاق إليك.
انهمرت دمعة على خدها.
ابتسمت وسط دموعها.

— اكتشفت أن الاثنين يمكن أن يعيشا في القلب نفسه.
كانت تظن يوماً أن عليها أن تختار.
إما أن تغفر، فتتخلي عن ألمها.

أو تتمسك بألمها، فتبقى وفية لكل ما حدث.





لكنها فهمت أخيراً أن الغفران لا يعني أن ما حدث لم يكن مؤلماً.
ولا يعني أن الأسئلة اختفت.
يعني فقط أنها لم تعد تريد أن تقضي بقية حياتها تعاقب رجلاً لن يستطيع
سماعها.

قالت:

— ساحتك لأنني أحبك.

ثم سكنت.

— لكنني لن أجمل أخطاءك.

كانت تلك أول مرة تستطيع فيها أن تقول الأمرين معاً.

أن تحب شخصاً مات.

وأن تغفر له.

وأن تعترف في الوقت نفسه بأنه أخطأ.

وضعت يدها على القبر.

— كنت أبي.

ابتسمت.

— وستبقى كذلك.

نهضت ببطء.

نظرت إلى المكان مرة أخيرة.

ولأول مرة، لم تشعر أنها تترك جزءاً منها هناك.

شعرت أنها تستعيده.

عادت إلى الطريق.

وكان قلبها أخف.

ليس لأن الماضي اختفى...

بل لأنه لم يعد يملك مفاتيحها.





الفصل الخامس والأربعون

لأول مرة... بلا خوف





جلس أسر وليان في المكان نفسه الذي التقيا فيه أول مرة.
كان المكان هادئًا.

تغيرت أشياء كثيرة منذ ذلك اللقاء.
حتى الأشجار بدت أكبر.
قال أسر:

— هل ما زلت تخافين؟

ابتسمت.

— نعم.

ضحك.

— وأنا أيضًا.

ضحكت.

— إذن لم نتغير.

هز رأسه.

— بل تغيرنا.

— كيف؟

نظر إلى المكان حوله.

— في السابق كنا نظن أن الشجاعة هي ألا نخاف.

ثم أمسك يدها.

— الآن نعرف أنها أن نكمل رغم الخوف.

نظرت إلى يده.

لم تسحبها.

قالت:

— كنت أظن أن الشجاعة تعني أن أكون قوية دائمًا. 180

— وأنا كنت أظن أن القوة تعني ألا أحتاج أحدًا.





— وماذا اكتشفت؟

قال:

— أن الإنسان يمكنه أن يحتاج شخصًا، دون أن يصبح عاجزًا

بدونه.

ابتسمت.

— هذه الجملة أحببتها.

قال:

— لأنني تعلمتها بالطريقة الصعبة.

صمتا.

ثم قالت:

— أخاف أحيانًا أن أفقدك.

— وأنا أخاف أن أفقدك.

— ماذا نفعل إذًا؟

قال:

— نعيش.

نظرت إليه باستغراب.

تابع:

— لأن الخوف من الغد لا يعيد لنا أحدًا إذا رحل، ولا يمنع

الحياة من أن تحدث.

ثم قال:

— إذا جاء يوم وفقدنا بعضنا، سنحزن.





— فقط؟

— ربما سننهار.

ابتسم.

— لكننا سنعيش.

قالت:

— هذا مخيف.

— الحياة كلها كذلك.

ثم أضاف:

— لكنني أفضل أن أعيش معك وأنا أعرف أن كل شيء قابل للتغير، على أن أقضي حياتي خائفًا من التغير. نظرت إليه.

وفي تلك اللحظة، أدركت ليان أنها للمرة الأولى لا تريد ضمانًا.

كانت تريد فقط أن تعيش اللحظة.

فابتسمت.

وقالت:

— حسنًا.

— ماذا؟





الفصل السادس والأربعون

حين بكى الرجل





في تلك الليلة، أخبرها أسر عن أمه.
لم يتحدث عنها كثيرًا من قبل.
كان اسمها دائمًا يمر في أحاديثه كجرح مغلق.
لكن هذه المرة، فتح الباب.
قال:

— كنت صغيرًا عندما ماتت.

صمت.

— كنت أعتقد أن أبي أخذها مني.

كانت ليان تستمع دون أن تقاطعه.

— قضيت سنوات أكرهه.

— يحق لك.

نظر إليها.

— ثم كبرت.

— وماذا حدث؟

— اكتشفت أن الحقيقة أكثر تعقيدًا مما أردت.

خفض رأسه.

— اكتشفت أنه لم يقصد قتلها.

توقف.

— لكنه كان السبب.

قالت ليان بهدوء:

— وهذا فرق مؤلم.

هز رأسه.





— كنت أريد أن يكون شريراً بالكامل، حتى أستطيع أن أكرهه دون تردد.

ثم ضحك ضحكة قصيرة مكسورة.

— لكنني اكتشفت أنه أبي.

سقطت دمعة من عينه.

مسحها بسرعة.

لكن ليان لم تتظاهر بأنها لم ترها.

قال:

— كنت أكره نفسي لأنني بدأت أفهمه.

— لماذا؟

— لأنني ظننت أن فهمه يعني خيانة أمي.

اقتربت منه قليلاً.

— الفهم ليس تبريراً.

رفع عينيه.

— ماذا يعني إذًا؟

قالت:

— يعني أن الحقيقة أحياناً أكبر من أن تختصر في شخص جيد وشخص سيئ.

ثم أضافت:

— يمكنك أن تحب أباك وتغضب منه.

صمتت لحظة.

— ويمكنك أن تشتاق إلى أمك وتفهم أن العالم لم يكن عادلاً معها.

قال:

— كيف يمكن للقلب أن يحمل النقيضين؟

ابتسمت ليان.

— لأنه أوسع من أخطائنا.

بكى.

هذه المرة لم يحاول إخفاء دموعه.

ولم تحاول هي إيقافها.

جلست بجانبه فقط.





الفصل السابع والأربعون

ما بين الغفران والنسيان





لم تنسَ ليان.
وهذا كان مهمًا.
لم تنسَ السنوات التي ضاعت.
ولا الليالي التي بكت فيها.
ولا الأكاذيب التي جعلتها تشك في أقرب الناس إليها.
لم تنسَ والدها.
ولا الرجل الذي كانت تظنه يعرف كل شيء.
ولا نفسها حين كانت تقف أمام المرأة وتتساءل إن كانت تستحق أن تعيش
حياة مختلفة.
لكن شيئًا تغير.
لم تعد الذكريات تقودها.
كانت تأتي، نعم.
لكنها أصبحت تعرف كيف تتركها تمر.
في إحدى الليالي، قال لها آسر:
- هل ندمتِ على كل شيء؟
فكرت طويلاً.
- لا.
- حتى الألم؟
- حتى الألم.
نظر إليها باستغراب.
قالت:
- ليس لأن الألم كان جميلاً.
ابتسمت.
- بل لأنه جعلني أعرف نفسي.





ثم قالت:

- لن أنسى.

أجاب:

- ولا يجب أن تنسي.

- لكنني سأحت.

- وهذا يكفي.

سكتت.

ثم قالت:

- كنت أعتقد أن المسامحة تعني أن أقول إن ما حدث لم يؤذني.

- والآن؟

- الآن أعرف أنني أستطيع أن أقول: نعم، لقد آذاني، ومع ذلك لن أسمح له أن يفسد بقية

حياتي.

ابتسم أسر.

- هذا هو الغفران.

نظرت إليه.

- وربما الغفران الحقيقي ليس أن نفتح الباب لمن آذانا.

- ماذا يكون؟

- أن نغلق الباب دون كراهية.

ساد الصمت.

كانت تلك الجملة تلخص سنوات كاملة.

أحيانًا لا نغفر لأن الآخر يستحق.

نغفر لأننا نستحق أن نعيش دون أن نحمل ثقله في صدورنا.

ومنذ ذلك اليوم، لم تعد ليان تخاف من كلمة "سأحت".

لأنها فهمت أخيرًا أنها لا تعني:

"لم يحدث شيء."

بل تعني:

"حدث كل شيء... لكنني لن أسمح له أن يحدث داخلي مرة أخرى."





الفصل الثامن والأربعون

لَمَّا قَلْبِي يَلِينُ





مرت السنوات.
لم تشعر ليان كيف مرّت.
كانت الحياة تمضي بهدوء هذه المرة، دون أسرار كبيرة تنتظر خلف
الأبواب.

في مساء هادئ، جلست قرب النافذة نفسها التي كانت تجلس عندها
يوم بدأت الحكاية.
كانت القهوة أمامها.
لكنها هذه المرة لم تكن باردة.
ابتسمت عندما لاحظت ذلك.

كم من الأشياء الصغيرة تغيرت دون أن تنتبه؟
دخل أسر الغرفة.
جلس بجانبها.
قال:

— بماذا تفكرين؟
نظرت إلى المطر.
— في الفتاة التي كنتها.
— وماذا تريد أن تقول لها؟
صمتت طويلاً.

ثم قالت:
— لم تكوني قاسية.

نظر إليها.

— ماذا؟

ابتسمت.





- كنت خائفة فقط.

نظرت إلى يديها.

- وكل ذلك الوقت، كنت تنتظرين شخصاً يقول لك إنك لا تحتاجين إلى أن تكوني

قوية طوال الوقت.

قال أسر:

- وهل وجدته؟

ابتسمت.

- وجدت نفسي أولاً.

ثم نظرت إليه.

- ثم وجدتك.

لم يقل شيئاً.

مد يده وأمسك يدها.

قال:

- وأنا كنت أظن أنني عدت لأجذك.

ضحكت.

- ووجدت ماذا؟

- وجدت امرأة لا تحتاجني.

رفعت حاجبها.

- هل هذا يزعجك؟

ضحك.

- في البداية.

ثم ابتسم.

- ثم أحببته.

سكتت.





كان هذا هو الحب الذي لم تعرفه ليان في البداية.
حب لا يسألها أن تصغركي يشعر هو بأنه كبير.
ولا يطلب منها أن تكون ضعيفة كي يشعر بأنه قوي.
حب يجلس بجانبها فقط.

قالت:

— أتذكر أول مرة جلست هنا؟

— أتذكر.

— كنت أخاف أن يلين قلبي.

قال:

— وأنا كنت أخاف أن أكون سبباً في كسره.

نظرت إليه.

— لكنك لم تكن السبب في إنقاذه.

— ماذا؟

— أنا أنقذته.

ثم ابتسمت.

— وأنت فقط كنت بجانبني وأنا أفعل.

ابتسم أسر.

ولم تكن هناك حاجة إلى أكثر من ذلك.

في تلك اللحظة، فهمت ليان معنى العنوان الذي ظل يرافقها طوال

الطريق.

لَمَّا قلبي يلين...

لم تكن تلك لحظة ضعف.

كانت اللحظة التي توقفت فيها عن معاقبة نفسها على كونها إفسانة.





الفصل التاسع والأربعون

الحب الذي نجا



لم يكن حب ليان وآسر حبًا مثاليًا.

وهذا بالضبط ما جعله حقيقيًا.

تشاجرا.

اختلفا.

غضبا.

وفي بعض الأيام، كان الصمت بينهما أطول مما ينبغي.

لكن شيئًا واحدًا لم يتغير:

لم يستخدم أحدهما جرح الآخر سلاحًا ضده.

كان بإمكان آسر أن يذكرها بماضيها كلما غضبت.

وكان بإمكان ليان أن تفتح كل أبواب أخطائه كلما شعرت بالأذى.

لكنها لم تفعل.

لأنهما تعلمتا شيئًا أهم من الانتصار في الخلاف:

أن الإنسان الذي تحبه ليس خصمًا يجب أن تهزمه.

في إحدى الليالي، بعد خلاف طويل، جلست ليان وحدها.

دخل آسر بعد ساعة.

لم يقل شيئًا.

جلس بعيدًا عنها.

قالت:

— هل جئت لتكمل الشجار؟

ابتسم.

— لا.

— إذًا؟



— جئت لأنني لا أريد أن ننام ونحن نظن أن الصمت انتصار.





نظرت إليه.

قال:

— كنت غاضبًا.

— وأنا أيضًا.

— لكنني لا أريد أن أجعلك تدفعين ثمن غضبي.

خفضت عينيها.

— وأنا لا أريد أن أعاقبك لأنني خائفة.

جلسا طويلًا.

ثم قال آسر:

— لو عاد بنا الزمن، هل ستختارينني؟

فكرت طويلًا.

قالت:

— لو عاد بنا الزمن، ربما كنت سأهرب منك.

ضحك.

— هذا مؤلم.

ابتسمت.

— كنت سأهرب من كل شيء.

— ثم؟

نظرت إليه.

— ثم أتمنى أن أجذك في كل حياة.

ابتسم.

— حتى لو هربت مني في كل واحدة؟

ضحكت.

— ربما.

مد يده إليها.

— إذا سأترك الباب مفتوحًا.

قالت:

— لماذا؟

— حتى تعرفي أن العودة اختياري.

أمسكت يده.





وفي تلك الليلة، لم ينتصر الحب لأنهما لم
يتشاجرا.

انتصر لأنه استطاع أن يبقى نظيفاً رغم
الشجار.

لأنهما لم يسمحا للغضب أن يحول الحب إلى
ساحة حرب.

ولأنهما تعلما أن النجاة من الخلاف ليست
في أن يخرج أحدهما منتصراً...
بل أن يخرج الاثنان وهما ما زالا قادرين على
النظر إلى بعضهما دون كراهية.
وهكذا نجا حبهما.

ليس لأنه كان أقوى من الألم.
بل لأنه تعلّم كيف يمر من خلاله دون أن
يصبح ألماً جديداً.



الفصل الخمسون

وأخيراً... اخترتني





لم تكن النهاية يوم أحبت ليان أسر.

ولا يوم عرفت الحقيقة.

ولا يوم ساحت والدها.

كانت النهاية الحقيقية في اليوم الذي وقفت فيه أمام المرأة ولم تعد ترى فتاة مكسورة.

رأت امرأة نجت.

امرأة لم تعد تقيس قوتها بعدد الأشياء التي تستطيع تحملها.

امرأة عرفت أن بعض الأبواب تُغلق كي لا تعود إلى المكان الذي يؤذيها.

وأن بعض الأشخاص يرحلون كي تتعلم أن لا تجعل وجود أحد شرطًا لسلامها.

وأن الحب الحقيقي لا يأتي ليملاً الفراغ.

بل يأتي بعد أن نتعلم كيف نكون ممتلئين بأنفسنا.

وقفت ليان أمام النافذة.

كان المطر يهطل كما هطل في الليلة الأولى.

لكنها لم تكن المرأة نفسها.

دخل أسر الغرفة.

قال:

— جاهزة؟

التفتت إليه.

— إلى أين؟

ابتسم.

— إلى حياتنا.

نظرت إليه.

ثم إلى النافذة.

تذكرت الرسالة الأولى.

تذكرت والدها.

أمها.





السنوات الضائعة.

الخوف.

ياسر.

فؤاد.

آسر.

وتذكرت الفتاة التي كانت تخشى أن يلين قلبها.

فهمت أخيرًا أن قلبها لم يكن ضعيفًا حين لان.

كان شجاعًا.

لأن القسوة كانت أسهل.

أما أن تحب بعد كل ما حدث...

فذلك كان يحتاج إلى قلب نجا من الموت دون أن يتحول إلى حجر.

مد آسر يده.

وضعت يدها في يده.

قال:

— هل أنت بخير؟

نظرت إليه.

وقالت:

— لأول مرة... نعم.

ثم أضافت، وكأنها تقولها لنفسها قبل أن تقولها له:

— كنت أظن أنني إذا فتحت قلبي سأخسر نفسي.

ابتسمت.

— لكنني اكتشفت أنني خسرت نفسي يوم أغلقته.

خرجت معه.

وأغلقت الباب خلفها.

لا على الماضي...





بل على خوفها منه.
وفي الطريق، لم تنظر ليان إلى الخلف.
لأنها للمرة الأولى لم تكن تهرب من شيء.
كانت ذاهبة إلى شيء.
إلى حياة اختارتها.
إلى قلب لم يعد يطلب من العالم أن يكون رحيماً كي يكون سعيداً.
إلى حب لم ينقذها...
لأنها لم تعد بحاجة إلى من ينقذها.
كانت قد نجت بنفسها.
توقفت للحظة عند نهاية الطريق.
نظرت إلى أسر.
ثم ابتسمت.
لم تكن تعرف ماذا سيحمل الغد.
ولم تعد تحتاج إلى معرفته.
فقد قضت نصف حياتها تخاف مما قد يحدث، حتى نسيت أن تعيش ما يحدث الآن.
أمسكت يده.
ومضيا.
وفي مكان ما داخلها، كانت الفتاة القديمة تجلس أخيراً بهدوء.
لم تعد تنتظر أحداً لينقذها.
لم تعد تخاف من الحب.
لم تعد تحارب قلبها كلما شعر.
لقد فهمت أخيراً أن الإنسان لا ينجو حين يتخلص من ضعفه...
بل حين يتصالح معه.
وحينها فقط، فهمت ليان معنى الحكاية كلها:
لَمَّا قلبي يلين... لم أضعف.
بل عدتُ إنسانة.
ولأول مرة منذ سنوات، لم تكن تلك الجملة نهاية شيء.
كانت بداية الحياة.



وفي الختام، أتمنى أن تكون
هذه السطور قد غرست في
قلوبكم رقة أثر الفراشات،
وتركت في أرواحكم دفئاً لا
يزول.

إلى أن نلتقي مجدداً في الجزء
الثاني، لنرسو معاً على "مرافئ
النور".

سرّ دُفن طويلاً،
ورسالة أعادت الماضي إلى الحياة.

تقترب ليان من الحقيقة...
فتكتشف أن أخطر ما تخشاه،
ليس ما حدث لها... بل من كانت طوال الوقت.



تصميم:
فاطمة فتوح